إبراهيم عليه السلام وكلمات الابتلاء

د. أبوبكر القاضي

المجلس الرابع: كيف تُتم كلمات الابتلاء ..؟!

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KannashatElkady

قال تعالى.....

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}[البقرة:٢١٤].

لك أن تتخيل هذا البلاء الذي صُب على رؤوس الأنبياء صبًا وهم أكرم الخلق على الله، وهم أحب الخلق إلى الله.

ابتلوا في الله عز وجل ابتلاءً شديدًا.

قال صلى الله عليه وسلم: "لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أخفت في الله وما يخاف أحد".

أنا أقول لك هذا الكلام لكي يتغير تصورك عن الابتلاء وطريقة استقبالك للبلاء في حياتك، تتغير طريقة نظرتك إلى هذا الوجود وإلى حياتك، حياة بلا متاعب حياة بلا ابتلاءات ليست موجودة أصلا في هذه الدنيا.

بل هذه الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم، وهذه العوارض إن نجا من هذا نهشه هذا، مصائب الحياة مصائب الدهر لا يخلو منها مؤمن ولا كافر.

"إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ".

المؤمن والكافر يتألم....

لكن الفرق أن المؤمن يفهم لماذا يتألم فيحتسب الأجر عند الله ويرجو الأجر من الله تبارك وتعالى.

هذا الذي يرفع المؤمن درجات والكافر يتخبط في ظلمات السُخط والجزع وسوء الفهم واتهام الرب بالظلم وغير ذلك فيقع في جهنم دركات.

أسأل الله عز وجل العفو والعافية.

يتميز الخبيث من الطيب، الطيب هو الطيب القلب، صاحب القلب السليم، الذي يعرف ربه تبارك وتعالى ويفهم عن الله عز وجل.

"أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ۖ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا"

انظر إلى الهزة العنيفة، تهز شخص هكذا هز عنيف يتزلزل، يتبرجل، عينه تزغلل، يشوش.

أنت هكذا تضغط عليه كل ما اضغط عليه كل ما يخرج ما في القلب.

لذلك الصدمة الأولى، الزلزلة الأولى، المفاجأة.

{هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا}[الأحزاب:١١].

ما يخرج من القلب على اللسان في هذه اللحظة هو دينك، هو ما كنت تضمره وتسره في وقت الرخاء، هو ما كنت تسره بينك وبين الله، أصل ده في قلبك، مين يعرفه؟!

((الله))

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ}[محمد:٢٩].

في مشكلة في قلبك لا يعلمها الناس، الناس يرونك تقي ورع من

الخارج، يرونك شيخ وولي من الخارج، هذا الذى بالداخل كيف يخرج؟!

يخرج بالزلزلة، يخرج بالابتلاء، يخرج بالامتحان، يخرج بالاختبار، يظهر بقى الطيب من الخبيث.

يظهر هل العطاء أحب إليك من المنع ؟

هل تفهم عن الله؟ حكمته ؟

هل تدرك أنه عليم حكيم؟

ام تسيء الظن بالله عز وجل؟

_ وتظنون بالله الظنون_ وتقول أنه لن يكون للإسلام دولة وأنه لن ينتصر الإسلام مرة أخرى حين ترى الهزائم، حين ترى حصار الكفار، المؤمنون حين رأوا الأحزاب قالوا: "هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۖ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا".

المنافقون قالوا: "ومَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا".

هذا قلب وهذا قلب.

هذا قلب مؤمن، هذا قلب منافق.

أي القلبين انت؟!

مع ابتلاءات الحياة، مع أزمات الحياة، مع الغموم، مع الهموم، مع عرض الشهوات والشبهات.

العرض المستمر أربعة وعشرون ساعة.

يعرض عليك الربا، يعرض عليك الرشوة، تعرض عليك أنواع المحرمات، الكاسيات العاريات، الصور العارية، المسلسلات، الأفلام، الأغاني، الغيبة، النميمة، الفحش، البذاء، السب، الشتم، العلاقات السامة والمؤذية، ابتلاءات.

ابتلاءات أنت مطالب فيها أن تصبر على طاعة الله، رغم الغربة أن تصبر عن معصية الله، رغم الشبهات والشهوات أن تصبر على أقدار الله المؤلمة من ما لا حيلة لك في دفعها من مرض أو موت حبيب، تحتاج أن تصبر على أقدار الله المؤلمة.

أن تعلم أنها من عين الحكمة، وأن الله لا يعذب عباده.

{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا}[النساء:١٤٧].

قال ابن الجوزي _رحمه الله_ ليس دومًا يبتلي ليعذب، إنما يبتلي ليصطفي ويهذب.

كيف نسير على طريق إبراهيم عليه السلام؟!

أن نتم الكلمات، "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات".

أمره أن يدعو إلى التوحيد فدعا إلى التوحيد، أمره أن يدعو أباه إلى التوحيد ليس قومه فقط، اباه، فدعا إلى التوحيد.

أمره أن يصبر على البلاء فصبر على النار، وأن يُعرى من كل كساء وأن يقذف عاريًا في النار.

أمره أن يدعو إلى التوحيد وأن يصبر على كل العواقب، ثم بعد هذا جاءت المفارقة بينه وبين قومه حتى خرج من قومه.

"إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"، "إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ".

لم يؤمن له إلا سارة ولوط.

أين الجيوش الجرارة؟!

أين العزوة؟!

أين العشيرة؟!

إبراهيم عليه السلام الذي ضارب بأطنابه في جذور التاريخ.

إمامًا، أمة كما سيأتي.

لم يستجيب له إلا سارة ولوط ومع ذلك عبر العصور سترى دعوة إبراهيم عليه السلام.

القضية ليست في الكم، كم يستجيب لك، الفيوهات، الشيرهات، اللايكات، القضية في محتوى الدعوة.

دعوة الحق، المنهج الحق، التضحية، الصدق، الإخلاص، الوفاء مع الله.

أمره أن يذبح ولده فقدمه للقربان، أمره أن يبني له بيتًا فبنى لله عز وجل بيتًا.

أمره أن يختتن وهو قد بلغ مائة عام فاختتن بالقادوم، أمره أنه يحج فحج، وأراه مناسك الحج وكان إماما في ذلك.

أتم هذه الكلمات.

كيف نسير على هذا الطريق؟!

إذا أحسنا الظن بالله عز وجل، إذا أيقنا أن الجنة لها ثمنًا، وأن رضا الله له ثمن.

وأنه ينبغي أن نصبر على الزلزلة، وأن نأتي الله بقلب سليم ليخرج منه في وقت الزلزلة القول السليم.

"إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ".

حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟!

ألا إن نصر الله قريب.

هو يقول ذلك ويعلم أن نصر الله قريب ولكن من شدة الألم، من شدة الزلزلة، من شدة الابتلاء، يتساءل متى نصر الله؟

ألا إن نصر الله قريب.

أقرب مما تتخيل.

فرجه قريب، نصره قريب.

لك أنت على مستوى الفرد وعلى مستوى الشعوب والأمم، أمة الإسلام، دولة الإسلام.

دين الله عز وجل، "وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ".

السير على طريق إبراهيم عليه السلام وعر صعب، ولكنه سهل يسير على الموفق الذي أهدى قلبه لربه عز وجل حبًا وإخلاصًا ويقينًا.